المدخل إلى علم اللسانيات

أرحب بكم عزيزاتي الطالبات في الصف الالكتروني الجديد، وأبارك لكم عامكم الدراسي الجديد متمنية لكم سنة دراسية ملؤها المثابرة والنجاح.

إليكم أهم المحاور التي سنتناولها في محاضرتنا:

١. المقدمة

٢. التعريف باللسانيات (علم اللغة).

٣. الفرق بين اللسانيات وفقه اللغة.

٤. خصائص اللسانيات.

١. المقدمة

اللغة هي وسيلة التواصل التي امتاز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات، فهو يعبر عن أغراضه وأحاسيسه عن طريقها. وعندما بدأت دراسة اللغة دراسة علمية تخضع لقوانين خاصة أصبحت كباقي العلوم الأخرى علماً قائماً بذاته، ويرجع هذا إلى القرن التاسع عشر حيث ظهر مصطلح اللسانيات أو علم اللغة، يشكل فرقاً عن فقه اللغة القديم.

٢. تعريف اللسانيات:

يعرف اللسانيات بأنه: العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيداً عن النزعة المعيارية.

إن كلمة علم ضرورية لأنها تعني اتِّباع طرق منهجية منطلقة من أسس موضوعية يمكن التحقق منها وإثباتها.

أما الوصف فيقصد به وصف اللغة المتداولة لذاتها كواقع قائم بذاته ليس كما كان يدرّس على أساس معياري والمعيارية وهو منهج قائم على فرض القاعدة يبدأ بالكليات وينتهي بالجزئيات، ويعتمد القاعدة أساساً، وينأى عن الوصف، ويتأول لما يخرج عن القاعدة بأحكام شتى كالشذوذ والقلة والندرة .

٣. الفرق بين اللسانيات (علم اللغة) وفقه اللغة.

إن أغلب مباحث اللسانيات (علم اللغة) وفقه اللغة متداخلة لدى كثير من الدارسين، وعند الموازنة نلحظ الفروق الطفيفة بينهما فاسم علم اللغة عند الغرب linguistique أي العلم المختص بالكلام أو اللغة، واسم فقه اللغة عندهم: philology وهي كلمة مركبة من لفظتين إغريقيتين هماphilos بمعنى الصديق و logos بمعنى الخطبة أو الكلام، وفقه اللغة وثيق الصلة بعلم اللغة فمباحثه المتنوعة مهّدت السبيل لعلم اللغة التاريخي، ففقه اللغة يهتم في المقام الأول بدراسة تاريخ اللغات كما هو واضح في النصوص المكتوبة ، وفي سياق الأدب والثقافة المرتبط بهذه الشعوب، في حين أن اللسانيات قد يهتم في تاريخ اللغات المكتوبة إلا أنه يعطي الأولوية للنصوص المنطوقة وتحليلها في نقطة معينة من الزمن، كما أنه (علم اللغة) لا يستغني عن فقه اللغة لأن أهم مصادرهِ هي النصوص اللغوية.

وقد عُرِّف فقه اللغة بأنه: منهج للبحث استقرائي وصفي يعرف به موطن اللغة الأول وفصيلتها وعلاقتها باللغات المجاورة أو البعيدة أو الشقيقة أو الأجنبية

٤. خصائص علم اللسانيات.

تختلف اللسانيات عن علوم اللغة الأخرى عند الغربيين قبل القرن التاسع عشر في كثير من الخصائص، ويرى جون ليونز أن أهم الخصائص هي:

١. أن اللسانيات تتصف بالاستقلال، وهذا مظهر من مظاهر علميتها. على حين أن النحو التقليدي كان يتصل بالفلسفة والمنطق، بل كان خاضعاً لهما في بعض الأحيان.

٢. تهتم اللسانيات باللغة المنطوقة قبل المكتوبة، على حين أن علوم اللغة فعلت العكس.

٣. تعنى اللسانيات باللهجات ولا تفصل الفصحى عن غيرها على النحو الذي كان سائداً من قبل.

٤. تسعى اللسانيات إلى بناء نظرية لسانية لها صفة العموم.

٥. لا تقيم اللسانيات وزناً للفروق بين اللغات البدائية واللغات المتحضِّرة.

٦. تدرس اللسانيات اللغة في كليتها وعلى صعيد واحد، ضمن تسلسل متدرج من الأصوات إلى الدلالة مروراً بالجوانب الصرفية والنحوية.

وأخيراً نقول: إن أهم ما جعل اللسانيات في القرن التاسع عشر علماً حديثاً هو إخضاع الظواهر اللغوية لمناهج البحث العلمي ، خلافاً لما كانت عليه من قبل، فقد كانت علوم اللغة في أوروبا قبلها تتصف بالذاتية والتخمين والتأمل العقلي البعيد عن الموضوعية.

نشوء علم اللغة (اللسانيات)

ترجع بداية اللسانيات بوصفها علماً حديثاً إلى القرن التاسع عشر، لأنه شهد ثلاثة منعطفات كبرى في مسيرة هذا العلم ، وهي اكتشاف اللغة السنسكريتية ، وظهور القواعد المقارنة ، ونشوء علم اللغة التاريخي.

ما هي اللغات السنسكريتية؟

هي لغة قديمة في الهند، وهي لغة طقوسية للهندوس البوذية، انتشرت في الهند وجنوب آسيا تتشابه مع اللغة اللاتينية واليونانية في أوروبا في القرون الوسطى ، وقد لاحظ هذا الشبه العالم اللغوي ويليام جونز حيث كان يعمل قاضيا في كالكتا في الهند، وهي بنية رائعة أكمل من الإغريقية وأغنى من اللاتينية ، وأغنى من اللاتينية، وتتصل بهما بصلة وثيقة من ناحية جذور الأفعال والصيغ النحوية ، حتى أنه لا يمكننا أن نعزو هذه القرابة محض صدفة، وإنما يمكننا القول بأنها تنتمي إلى أصل مشترك زال من الوجود.

ومنه انطلقت الدراسات في استخدام اللغة السنسكريتية أساساً للمقارنة بين اللغات الهندية الأوربية، فصار هذا الاكتشاف مادة لتطبيق أسلوب المقارنة.

ثم ظهر نتيجة تطور الأسلوب المقارن الذي اعتمد في طرقه العلمية على رصد التطور التاريخي أسلوباً جديداً لم يعد يهتم بإثبات القرابة بين اللغات، بل يهتم بمعرفة جميع التطورات اللفظية في لغةٍ عبر تاريخها. لكن التفريق بين الأسلوبين: المقارن والتاريخي لم تتضح معالمه إلا بعد عام ١٨٧٦م

لكن أسلوباً آخر جديداً ما لبث أن ظهر في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العشرين هو الأسلوب الوصفي الذي دعا إلى دراسة الظواهر اللغوية في فترة زمنية محددة وبالوصف العلمي البعيد عن الأحكام المسبقة أو معايير الخطأ والصواب.

مناهج اللسانيات وفروعها:

تتيح اللسانيات للدارسين إمكانيات منهجية متعددة لتناول الظواهر اللغوية وتصنيفها واستخلاص سماتها، وعندما نقول مناهج نعني بذلك الدراسة المنهجية التي تعتمد على أسس علمية ، فمسألة المنهج هي عماد البحث وأساسه في كل المجالات المعرفية والعلمية، واختيار المنهج يرتبط أولاً وأخيراً بطبيعة الموضوع محل البحث، لذا استقر الأمر مؤخراً على أن المناهج اللسانية يمكن تقسيمها بحسب ظهورها إلى:

١. المنهج المقارن.
٢. المنهج التاريخي.
٣. المنهج الوصفي.
٤. المنهج التقابلي.

١- **المنهج المقارن:** ويختص بدراسة العلاقات التاريخية بين لغتين أو أكثر ضمن أسرة لغوية واحدة. ومن المعروف أن اللغويين في القرن التاسع عشر توصلوا إلى تقسيم اللغات إلى مجموعات أو أسر معينة، يضم كل منها فروعاً متعددة، وأهم هذه المجموعات الكبرى هو المجموعة الهندية الأوربية والمجموعة السامية الحامية.

أما ما دعي بالمجموعة الطورانية فليس قائماً على صلات القرابة بل هو جمع للغات لا تنضوي تحت إحدى المجموعتين السابقتين ، ولا ترتبط إحداهما بالأخرى بأي رابطة لغوية تدل على تشابه أو قرابة أو أصل.

أما المجموعة الهندية الأوربية فتضم عدداً كبيراً من اللغات الممتدة من الهند إلى أوربا. ولهذه المجموعة فروع متعددة كالفرع الهندي والفرع الإيراني السلافي والفرع الجرماني والفرع الروماني. في حين تضم المجموعة السامية الحامية فروعاً متعددة كالفرع الأكدي والفرع الكنعاني والفرع الآرامي والفرع العربي الجنوبي والفرع الحبشي والفرع المصري القديم والفرع البربري والفرع الكوشي.

لقد أدى تطور الدرس المقارن في المجموعتين السابقتين وفروعها الكثيرة إلى نشوء ما عرف بعلم اللغة المقارن الذي يمتاز بقواعد معينة وطرق منهجية.

٢- **المنهج التاريخي:** ويختص المنهج التاريخي بدراسة التطور اللغوي عبر الزمن من خلال أو الوقوف على التطور الاجتماعي والثقافي والعلمي وكل المعطيات المؤثرة في اللغة.

فالبحوث التي ترصد توزع اللغة وانتشارها وتحوّلها إلى لهجات، أو التي تقف على تحوّل اللغة الرسمية (أو الفصحى) إلى لغة عالمية نتيجة الحروب والتوسع السياسي، أو التي تبين كيفية تحول اللجة إلى لغة مشتركة ، تنضوي جميعها تحت ما دعي بعلم اللغة التاريخي.
كذلك تنضوي الدراسات القِطاعية المتخصصة تحت هذا العلم، كدراسة تطور الأصوات في اللغة المعينة عبر الزمن، أو دراسة تطور باب نحوي أو أسلوب نحوي كالاستفهام أو الجملة الفعلية، أو دراسة تطور بناء أو صيغة صرفية من عصر إلى عصر، أو دراسة نطور معاني الكلمات عبر الزمن.
وقد أطلق على هذا المنحى بوسائل علمية خاصة مضصطلح علم اللغة التاريخي.

٣- المنهج الوصفي: ويتناول بالدرس العلمي كل الظواهر اللغوية بعد تحديد مجالها وزمنها وبيئتها، فلا بد هنا من تحديد المجال كأن يكون لغة فصحى أو لهجة أو مستوى معيناً من مستويات الاستعمال، كمستوى الشعر أو مستوى الإعلام أو الصحافة وتحديد الزمن؛ لأنّ المنهج الوصفي يفترض أن هناك سكوناً ضمن مرحلة زمنية محددة، فيدرس الظواهر اللغوية في المرحلة الزمنية المقصودة من غير التفات إلى ارتباطها بغيرها عبر الزمن ، كذلك يحد المنهج الوصفي البيئة التي تنتمي إليها الظواهر المدروسة، وهدفه من ذلك كلّه أن يكون البحث محدداً وخاصّاً بقطاع من اللغة حتى تكون النتائج صحيحة ودقيقة قدر الإمكان.
والمنهج الوصفي ينبِذُ أي موقفٍ معياري ينطلق من الخطأ والصواب ،لأنه يفرّقُ بين ما هو علمي وما هو تعليمي، فالدرس العلمي يتوسل بالمنهج الوصفي أساساً ، على حين أن الدرس التعليمي هو الذي يحتكم دوماً إلى قواعد الخطأ والصواب.
إن دراسة أي ظاهرة من الظواهر اللغوية ضمن الحدود التي رأيناها تعدّ دراسة وصفية. من ذلك مثلاً دراسة نظام الجملة في الصحافة الأدبية في مصر خلال عقد الأربعينيات. ودراسة الأبنية ، ودراسة الأبنية الصرفية في ديوان شاعر محدث كعمر بن أبي ريشة ، ومثل دراسة عدد الأصوات في القراءات القرآنية على لسان قارئ معين من القراء المحدثين.
٤- المنهج التقابلي: ويتناول المنهج التقابلي وهو أحدث المناهج اللسانية لغتين أو لهجتين أو مستويين من الكلام بالدرس العلمي للوصول إلى الفروق الموضوعية بين الطرفين اللذين تبنى عليهما الدراسة.
وقد نشأ هذا المنهج أصلاً من محاولة التغلب على صعوبة تعليم اللغات لغير أبنائها، ولذلك لا يشترط فيه أن يكون خاصّاً بدراسة اللغات التي تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة، فالدراسة التي تقابل بين خصائص الجملة في الانكليزية من جهة والعربية من جهة أخرى تعد دراسة تقابلية، وقس على ذلك الدراسات الأخرى التي تقابل بين لغتين أو لهجتين في أي ظاهرة أو قطاع من

قطاعات الدرس اللغوي، ولا شك أن الدرس التقابلي يفيد من نتائج الدرس الوصفي، لأن المقابلة تكون بعد التعرف على خصائص المادة المدروسة تعرفاً علمياً صحيحاً.

توظّف الدراسات التي تبنى على المنهج التقابلي في مجال علم اللغة التطبيقي الذي يضع ثمار الدراسات التقابلية في برامج تطبيقية تسهّل تعليم اللغات ، وقد أُطلِق على هذه الدراسات مصطلح علم اللغة التقابلي.

قطاعات علم اللغة (اللسانيات):

أما قطاعات الدرس اللساني فتشمل الظواهر اللغوية كافة، من الأصوات، والصرف، والنحو والدلالة، فاللسانيات سعت إلى درس اللغة كلِّها، وأعادت لذلك الاتصال الذي لا بدَّ منه بين هذه القطاعات جميعاً . فالتحليل اللساني يبدأ بالأصوات لأنها العناصر الأولى التي تشكل الكلمات أو الوحدات الدالة ، ثم ينظر في بناء الكلمة من حيث الشكل والوظيفة، ويتقدم بعد ذلك إلى تركيب الكلمات في جمل إسنادية فيبين قواعده ومعانيه النحوية. وينتهي عند درس المعنى المتحصّل من معاني الكلمات معجمياً وسياقياً من خلال تضافر القطاعات اللغوية والمعطيات الاجتماعية والثقافية.

فالقطاع اللغوي هو جانب من جوانب الكلام الذي يراد تحليله وبيان معناه. لذلك تحدّدت قطاعات الدرس اللغوي على هذا النحو المتدرِّج صعوداً:

١. قطاع الأصوات: ويشمل وصف الأصوات وقواعد تشكيلها، أي ما ينضوي تحت مصطلحي: (Phonetique) و(Phonologie) .
٢. قطاع الصرف: أي ما يدخل ضمن مصطلح (Morphologie) .
٣. قطاع التركيب أو النحو: أي ما يتصل بتركيب الجملة (Syntaxe)أو(Grammaire).
٤. قطاع الدلالة: أي ما يتعلق بمعاني الكلمات معجمياً، وما يلحق به من مجالات علمية وتطبيقية كالمصطلح والمعجم مما يضمُّه مصطلح (Semantique) .

أقسام اللسانيات (علم اللغة):

تجمع الدراسات الحديثة على أن اللسانيات أو (علم اللغة) كلّي يشمل كلَّ دراسة للظواهر اللغوية وما يتصل بها من مناحي الاتصال بالعلوم الأخرى على اختلافها. فقسم العلوم الداخلة في اللسانيات عادة إلى قسمين كبيرين هما:

١- اللسانيات النظرية
٢- اللسانيات التطبيقية

وتضم اللسانيات النظرية علوم اللغة التي تعنى بالظواهر اللغوية وحدها، كعلم الأصوات وعلم الصرف وعلم النحو أو التركيب وعلم الدلالة. وينضوي تحت بعض هذه العلوم علوم أخرى فرعية سنبين حين نتناول القطاعات الدرسية في الفصول التالية.

أما اللسانيات التطبيقية فتضمُّ العلوم التي تطبق الدرس اللساني النظري، كتعليم اللغات القومية والأجنبية ، وصناعة المعاجم والترجمة ، وأمراض الكلام، ومختبرات اللغة.

وهناك فروع نتجت عن صلة اللسانيات بالعلوم الأخرى، والتي تنحو تطبيقاً واضحاً:

١. اللسانيات الاجتماعية.
٢. اللسانيات النفسية.
٣. اللسانيات الجغرافية.
٤. اللسانيات العصبية.
٥. اللسانيات التربوية.
٦. اللسانيات الأجناسية.

الفصل الثاني

الدرس الصوتي

١- تمهيد:

تتصف اللغات بادئ ذي بدء بكونها كلاماً منطوقاً يُتداول مشافهة . فلقد عرف الإنسان الكلام المنطوق قبل أن يخترع الكتابة بأحقاب طويلة لا ندري مداها في القدم ابتداءً. ولم يكن اختراع الكتابة متأتياً من معرفة الطبيعة الشفهية للغة ومحاولة تقييدها بالكتابة، بل كان محاولة لتسجيل معنى الكلمة بتمامها عن طريق الصور والرسوم . وظل مفهوم الأصوات المفردة غائباً حتى توصّل الإنسان إلى الأبجدية، أي إلى العناصر الصوتية المفردة التي تشكِّل بائتلافها الكلمات. ومع أنَّ توصُّل الإنسان إلى الكتابة أمر مهم جداً على صعيد العلم والحضارة، فإنّه لم يقلّل من أهمية المشافهة في تداول اللغات ونقلها من جيل إلى جيل آخر. بل إن الأمية التي عرفتها الشعوب القديمة على نطاق واسع لم تحُل دون إبداع لغات عظيمة ذات آداب متفوّقة كالعربية مثلاً.

ومن الجدير بالذكر أن اللسانيات الحديثة أعادت الاهتمام باللغات المنطوقة، فمعظم علماء اللغة يرون أنّ من البدهي أن تأتي دراسة الكلام أولاً. أما اللغة المكتوبة فتأتي في المرتبة الثانية لأنها مشتقة من الكلام ، بل هي تمثيل له.

ومهما بلغت الكتابة في تمثيلها للنطق ، فإنها لا تستطيع نقل حركات الجسم وتعبيرات الوجه ونغمات الأصوات وسائر ملامح السيميائية للكلام.

لقد قاد اختراع الأبجدية التي يرمز فيها الحرف إلى الصوت بدلاً من الأشكال والمقاطع التي تشير إلى معان ، إلى بداية لوصف الأصوات ومعرفة خصائصها والإلمام بالمخارج الصوتية بالمخارج الصوتية ونحو ذلك. ولعل الشعوب الكنعانية ولا سيما الفينيقيين هم أول من أدرك العناصر الصوتية، المؤلفة للغة، ورغم ما قيل عن اقتصار الفينيقيين على تدوين الصوامت وحدها وإهمال الصوائت فإنَّ ما توصّلوا إليه من اختراع للأبجدية يعدّ حدثاً خطيراً في تاريخ البشرية التي لم تستطع أيٌّ من حضاراتها الوصول إلى هذا التحليل اللغوي الذي يبدو لنا الآن بدهياً وبسيطاً.

أما الهنود فقد اهتموا بوصف الأصوات لإبقاء اللفظ الصحيح للعبارات الدينية، إذ أدّى انقطاعهم عن تداول اللغة السنسكريتية لغة الآلهة إلى التشدد في الحفاظ عليها، لأنها بقيت لغة النصوص المقدسة التي ينبغي أن تتلى في الاحتفالات الدينية خالية من أي خطأ. ولم يكن وصف الأصوات عند الهنود مرتبطاً بالكتابة على النحو الذي رأيناه في اختراع الأبجدية لدى الشعوب الكنعانية ، وإنما بقيت الكتابة الهندية مقطعية، إذ لم تستطع الوصول إلى الأصوات المفردة ، كما لم يستطع تحليل الأصوات الوصول إلى كتابة

أبجدية . ومهما يكن من الأمر فإن الهنود توصلوا إلى تحليل مبتكر لأصوات اللغة مستقل عن الكتابة وسابق لها .

وعني الإغريق باللغة ودرسها عناية فائقة ، كما عنوا بالفلسفة والآداب والفنون، غير أن ما يهمنا في هذا العرض التاريخي الموجز هو بيان ما أجزوه على صعيد التحليل الصوتي فالإغريق الذين أخذوا الاختراع الكنعاني عن طريق الفينيقيين أسهموا في استكمال هذا الاختراع حين أرشدتهم طبيعة لغتهم إلى تدوين الأصوات الصائتة، ففي اليونانية لا تخمن حروف المد تخميناً، ولولا الإشارة إليها لما فهمت اللفظة مطلقاً، ومع أن علماء الإغريق وصفوا الحروف وعرفوا طبيعة الأصوات الإنسانية، وتوصلوا إلى بيان بعض صفاتها، فإن ما قدمه الهنود يفوق معطيات التحليل الصوتي الإغريقي الذي لم يؤثر تأثيراً مهماً في دفع الدرس اللغوي عند الغربيين ورثة الإغريق

ولما بدأ نجم العرب يعلو بمجيء الإسلام أخذوا ينشؤون حضارتهم التي شملت كل ميادين العلوم والآداب. وكان لهؤلاء مجد أدبي سامق هو الشعر الذي قيل فيه حقا إنه دىوانهم ومجلى بيانهم وعنوان فخرهم. ولم يكن لهم مع ذلك آثار مكتوبة تدون ذلك الشعر؛ لأنهم كانوا أمة أمية اعتمدت المشافهة والرواية طريقاً لنقل الشعر والأخبار والمعارف من جيل إلى آخر وتداولها. لكن تضافر عوامل متعددة عمل على وصف الأصوات العربية وصفاً فذّاً، فقد أسهمت قراءات القرآن الكريم بما فيها من ملامح نطقية بارزة – وهي التي يشترط في صحتها أن تكون منقولة مشافهة عن الرسول (ﷺ) ووجوه لهجية صوتية أيضاً، وتدوين المصحف وتجويد خطه وضبطه، ونشوء علمي اللغة (المفردات) والنحو (الإعراب والصرف) في ظهور الدرس الصوتي عند الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ) في مقدمة معجمه (كتاب العين).

الفونتيك والفونولوجيا

عَرف الدرس الصوتي الحديث عند الأوربيين مصطلحين رئيسيين هما (Phonetique) و (Phonologie)، وهما اللذان كانا مدار اختلاف الدارسين منذ مطلع هذا القرن، ولا بد قبل أن ننتهي إلى ما استقرت عليه الآراء عامة من أن نلمَّ بشيء من تطور دلالة هذين المصطلحين، وأول ما يذكر في هذا الصدد هو:

مفهوم فرديناند دو سوسير (ت ١٩١٣م): الذي استعمل (الفونيتيك) للدلالة على العلم التاريخي الذي يحلل الأحداث والتغيرات والتطورات عبر السنين، وهو لذلك جزء من اللسانيات.

مدرسة براغ اللغوية (وهي مجموعة من الباحثين الاوربيين الذين التفّوا حول عالم اللسانيات التشيكي ماثيسيوس، تشكّلت عام ١٩٢٦م وأهم ما جاءت به: التركيز على الجانب الوظيفي في اللغة ودراستها، ويقوم منهج الدراسة فيها على الاهتمام بدراسة نظام اللغة الكلي بمستوياته المختلفة: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية.) ولا سيما تروبتسكوي (ت ١٩٣٨) استعملت (الفونتييك) عكس استعمال دو سوسير، إذ رأت أنه ليس علماً لسانياً بل هو مساعد للسانيات، لأنه يدرس الأصوات دراسة علمية لا تخص لغة بعينها.

الدراسات الإنكليزية والأمريكية استعمال إذ شاع استعمال (الفونتيك) بمعنى العلم الذي يدرس الأصوات الكلامية ويصنّفها ويحلّلها من غير إشارة إلى تطورها التاريخي. فهو بذلك فرع من اللسانيات الوصفية.

وجهات نظر أخرى: لم يفرقوا بين الفونتيك) و (الفونولوجيا)، لأن أحدهما يعتمد على الآخر، وهما يتناولان مادة واحدة هي الأصوات، لذلك جُمِعا معاً تحت أحد المصطلحين : (الفونتيك) أو (الفونولوجيا).

وبالرغم من تعدد الآراء فإن معظم اللسانيين عرَّفوا (الفونتيك) بأنه: العلم الذي يدرس أصوات الكلام دون النظر إلى وظائفها اللغوية أو تحديد اللغة التي تنتمي إليها.

وكما اختلفت الآراء في تحديد مصطلح (الفونتيك) فقد اختلفوا في تحديد مصطلح (الفونولوجيا) فذهبوا مذاهب عدة هي:

استعمله دو سوسير لدراسة آلية النطق.

مدرسة براغ فعلت العكس، إذ جعلته فرعاً لسانياً يعالج الظواهر الصوتية من ناحية وظيفتها اللغوية. استعملت الدراسات الإنكليزية والأمريكية (الفونولوجيا) عنواناً لدرس تاريخ الأصوات والوقوف على التغيرات التي تحدث في أصوات اللغة نتيجة تطورها، وبذلك صار مصطلح (الفونولوچيا) يعني الدرس التاريخي للأصوات.

لكن معظم اللسانيين الذين حددوا (الفونينبك) كما رأينا بدرس أصوات الكلام دراسة علمية لا تتصل بالوظائف اللغوية.

كما استقرت الآراء على تعريف (الفونولوجيا) بأنّه العلم الذي يدرس النظام الصوتي للغة معينة بعد أن يبين وحداته وطرق ائتلافها، وما يطرا عليها من تغييرات تاريخية وتركيبية.

وحين دخل مصطلح (الفونتيك) درسنا اللغوي الحديث أبقاه بعض الدارسين دخيلاً ، فقال : فونتيك دون تعريب، كما ترجم إلى (علم الصوت)، و(علم الأصوات) و(علم الأصوات النطقي).

وكذلك كان شأن مصطلح (الفونولوجيا)، إذ تعددت مذاهب المترجمين والدارسين العرب المحدثين في إدخاله العربية. فمنهم من فضّل استعماله كما هو (الفونولوجيا) ومنهم من حاول تعريبه إلى علم الفونولوجي، ومنهم من اقترح له تسميات عربية كـ (علم وظائف الأصوات) و (علم الأصوات التشكيلي) .

وهناك مصطلح آخر هو (المورفوفونولوجيا): (Morphophonologie) ويعني بالمسائل المشتركة بين علمي الأصوات والصرف، ويمكن أن يعبر عنه بـ (علم الأصوات الصرفي)، أو (الصوتيات الصرفية).

يقسم (الفونيتيك) أي علم الأصوات إلى أربعة أقسام

١- علم الأصوات النطقي أو الفيزيولوجي ويدرس مخارج الأصوات الكلامية وطريقة نطقها، ويبين أعضاء النطق ويصف عملها، ويصنف صفاتها.

٢- علم الأصوات الفيزيائي أو السمعي، ويدرس الموجات الصوتية الصادرة عن جهاز النطق،

وانتقالها إلى الأذن، والعوامل المؤثرة في ذلك من النواحي الفيزيائية.

٣- علم الأصوات السمعي أو الإصغائي. : ويدرس جهاز السمع عند الإنسان، ويحلل العملية السمعية، ويوضح ماهية الإدراك السمعي وأثره في وصف الأصوات.

٤- علم الأصوات التجريبي أو المعملي: ويدرس خصائص الأصوات الكلامية باستخدام

الأجهزة وصور الأشعة وغير ذلك من أدوات مخبرية متعددة.

٢- علم الأصوات النطقي:

رأينا آنفا أن علم الأصوات النطقي علم لغوي يدرس الأصوات اللغوية من حيث المخارج والصفات، ثم يقدم نتائجه للصوتيات التشكيلية (Phonologie) التي تُعنى بائتلاف الوحدات الصوتية (Phonemes) في مقاطع وصيغ، وما يلحق ذلك من ظواهر صوتية مساعدة كالنبر والتنغيم.

وقد عرفت الدراسات الصوتية القديمة مثل ذلك مع الاختلاف الذي لا بد أن يظهر بين الدرس الحديث والدرس القديم. فالدراسات العربية في هذا الصدد كانت متسلحة بمعارف لغوية طبية وافية تقريباً بما يحتاجه درس الأصوات درساً صحيحاً. فمن المعروف أن هناك مجالاً دلالياً خاصاً بـ (خلق الإنسان) إضافة إلى خلق الحيوان الذي عرفه العرب في جزيرتهم. ويعجب الدارس من التفاصيل الدقيقة والفروق الدلالية التي حفلت بها تآليف اللغويين العرب في خلق

الإنسان. واستناداً إلى ما تقدم نرى أنَّ معرفة متقدمي اللغويين لأعضاء النطق ودورها في عمليات الطعام والتنفس والتصويت أمر نابع من معطيات اللغة قبل أيِّ شيء آخر. ويساند هذا في رأيي فكرة صدور الدرس الصوتي عند العرب مستقلاً عن التأثيرات الأجنبية التي لم تثبت بأي دليل حتى الآن.

لقد عرف الخليل وتلميذه سيبويه ومن تبعهم من اللغويين أصلاً أعضاء الجهاز النطقي ووصفوها وصفاً دقيقاً اعتماداً على آلية النطق قبل أن يعرفوا أشياء عن فيزياء الصوت وتشريح الأعضاء ونحوها من المعارف المستحدثة. وليس في معرفتهم لأعضاء الجهاز النطقي نقص إلا الحنجرة ولا سيما الوترين الصوتيين. ويبدو أن عدم ذكر الحنجرة في أثناء حديث الخليل وسيبويه عن المخارج كان يُؤدَّى بقولهم (أقصى الحلق)، وهو المخرج الذي حدده سيبويه تحديداً نهائياً ونسب إليه خروج صوتي الهمزة والهاء. وهما صوتان حنجريان فعلاً كما أثبتت الدراسات الحديثة، فضلا عن تأكيد ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) ذلك عندما وصف خروج صوتي الهمزة والهاء من الحنجرة التي عرفها وقدم وصفة لأجزائها). فالنقص إذن ليس في عدم ذكرهم الحنجرة – أي عند الخليل وسيبويه ومن تبعهم من اللغويين – إنما في عدم معرفتهم للوترين الصوتيين مما سبب غموضا في تعريفهم للمجهور والمهموس من الأصوات كما سنشير لاحقا.

– وصف جهاز النطق :

تحدد الدراسات الحديثة جهاز النطق (Organes articulatoires) بدءاً من الرئتين وانتهاء بالشفتين، وتميز بين أعضاء النطق الثابتة والأعضاء المتحركة. فالأعضاء الثابتة هي الأسنان العليا واللثة والغار والجدار الخلفي للحلق. أما الأعضاء المتحركة فتشمل الشفتين واللسان والفك السفلي والطبق واللهاة والحنجرة والوترين الصوتيين والرئتين، ويجري ترتيب هذه الأعضاء جميعاً من الأدنى إلى الأعلى على هذا النحو الآتي:

١. الرئتان هما مخزن الهواء في الجسم، إذ تقومان بتزويد الدم بالأوكسجين المستخلص من الهواء. وتحتفظ الرئتان بكمية ثابتة من الهواء تقدر بثلاثة أرباع جالون.

٢. القصبة الهوائية أو الرُّغامى: هي أنبوبة مؤلفة من حلقات غضروفية مهمته وصل الرئتين بالهواء خارج الجسم عن طريق فتحة الفم.

٣. الحنجرة: هي جزء متحرك يقع أعلى القصبة الهوائية، أما من الداخل فهي حجرة تضم طيات عليا تشكل الوترين الصوتيين الكاذبين، وطيّات سفلى تشكّل الوترين الصحيحين.

٤. لسان المزمار: وهو باب للحنجرة يمنع دخول الطعام إليها وإلى الجهاز التنفسي كله.

٥. الوتران الصوتيان: فهما رباطان يمتدان على طرفي الحنجرة ويقعان تحت الوترين الكاذبين. ويلتقي الوتران الصحيحان عند تفاحة آدم من الداخل، ويلاحظ أن الوترين الصوتيين عند الرجال أسمك وأطول من الوترين الصوتيين عند النساء ، ولهذا صار صوت الرجال أسمك من صوت النساء عامة، على حين أن أصوات الرجال والنساء أسمك من أصوات الأطفال. وتجدر الإشارة إلى أن جهل اللغويين العرب للوترين الصوتيين) جعل الدارسين المحدثين ينقلون هذه التسمية(Cords) ويقعون في خطأ الترجمة حين يرون أن كلمة الوتر جمع، فيقولون: الأوتار جرياً على طريق اللغات الأوربية التي لا تفرق بين المثنى والجمع.

٦. الحلق أو الحلقوم أو البلعوم: هو أنبوب يصل بين الحنجرة وفتحة المريء من الأسفل، والفم والأنف من الأعلى.

٧. اللسان: هو أبرز أعضاء النطق عند الإنسان، وقد اشتقت منه معظم اللغات الكلمات الدالة على اللغة. واللسان عضلة مرنة جداً، إذ يمكن سحب اللسان كاملا إلى الخلف أو الأمام أو الأعلى أو الأسفل، ويمكن تحديد طرفه او تكتيل وسطه أو بسطه وتعريضه أو قبضه وتضييقه إلى غير ذلك من الحركات التي هي غاية في التنوع والدّقة والإرهاف .

٨. الفك الأعلى: يضم من الخلف إلى الأمام أربعة أجزاء هي: اللهاة، والطبق، والغار، واللثة وهي أصول الأسنان. فاللهاة زائدة لحمية تتصل بالطبق آخر الفك الأعلى متدلية باتجاه الحلق، وقد نسب العرب إليها صوتي القاف والكاف، والطبق هو الجزء الرخو المتحرك من الفك الأعلى.

٩. التجويف الأنفي: هي مسارب – أي مسالك – يمر بها الهواء في أثناء التنفس والكلام.

٧. الشفتان: وهي آخر أعضاء جهاز النطق اللتان يمكن أن تنبسطا وأن تتدوَّرا وأن تنفتحا بأشكال متعددة وأن تُغلَقا غَلَقاً تاماً. والشفتان هما العضو الظاهر أولاً عند الكلام، لذلك قد ترمزان إلى عملية النطق كلها.

و نجد أن عملية النطق تطلب شروطاً أو مقومات رئيسية هي:

١– تحريك هواء الزفير بشكل مقصود وبقوة زائدة على الزنير العادي، فالهواء هو مصدر الأصوات.

٢– استثمار أعضاء النطق الثابتة والفراغ الممتد من الرئتين إلى الفم

عمومة لتشكيل ممر صوتي تساعد الأعضاء الأخرى المتحركة

على إعطائه كيفيات متعددة.

٣- اعتراض أعضاء النطق المتحركة لتيار الهواء المنبعث من الرئتين

في مواضع محددة اعتراضاً تاماً يولد حبساً للهواء أو غير تام لا يولد حبساً بل تضييقاً.

ويلاحظ أن الأصوات التي يمكن إنتاجها بالطريقة السابقة كثيرة، لكن الإنسان اكتفى بقليل منها لأسباب قد تتصل بالاقتصاد في بذل الجهد والاكتفاء بالأوضح والأشيع.

المخارج الصوتية:

المخرج : هو مكان النطق الذي يحدث فيه التصويت، ويدعى أحياناً بنقطة النطق حيث يحدث الاعتراض حبساً أو تضييقاً كما في الأصوات الصامتة التي تحدد عن طريق المخرج ودرجات الانفتاح وصفات النطق.

ومعروف أن تصنيف الأصوات بحسب مخارجها طريقة قديمة جرى عليها اللغويون الهنود والعرب. وقد قدّم العرب في هذا الصدد تصنيفات علمية دقيقة ، وكان أول من بدأ ذلك الخليل الذي أعطى الأصوات العربية أسماء مشتقة من المخارج، قسّم الحروف على عشرة مخارج لكل مخرج لقب يدعى به، ورتبها من الأدنى إلى الأعلى بالشكل الآتي:

١. الحروف الحلقية: وهي ستة: العين والحاء والهاء والخاء والغين والهمزة.

وقد خلت من الألف لأنها تخرج من هواء الفم وتتصل إلى آخر الحلق دون أن يذكرها مع حروف الحلق.

٢. الحروف اللهوية: وهما القاف والكاف.

٣. الحروف الشجرية: وهي الشين والضاد والجيم.

٤. الحروف الأسلية: وهي الصاد والسين والزاي.

٥. الحروف النطعية: وهي الطاء والدال والتاء.

٦. الحروف اللثوية: وهي الظاء والثاء والذال.

٧. الحروف الذلقية: وهي الراء واللام والنون.

٨. الحروف الشفهية: وهي الفاء والباء والميم.

٩. الحروف الجوفية: وهي حروف العلة الألف والواو والياء.

١٠. الحروف الهوائية: حروف اللين الألف والواو والياء.

أما سيبويه فقد عالج الأصوات الصائتة كما عالج الأصوات الصامتة من حيث وصف المخرج الذي يصدر منه الحرف دون تمييز، ودون ذكر ألقاب للمخارج كما فعل الخليل، وعنده المخارج ستة عشر مخرجاً متسلسلة من الحلق إلى الشفتين فقسم الحلق على ثلاثة مخارج : أقصى الحلق وهو الهمزة والهاء والألف، والثاني : أوسط الحلق وهو للعين والحاء، وأدنى الحلق وهو للغين والخاء.

وانتهى بالشفتين وهي الباء والميم والواو، وجعل النون الخفيفة من الخيشوم وأدخل الياء الصامتة ضمن حروف وسط اللسان.

ولم تكتفِ الدراسات العربية القديمة عند الخليل وسيبويه ، فلعلماء التجويد باع طويل في هذا المجال فقد حصروا العربية كلها في مخارج بدءاً من الجوف وانتهاءً بالخيشوم فصارت عدة الحروف عندهم ثلاثة وثلاثين حرفاً، إذ تكررت الياء والواو في موضعين هما الجوف حين يكونان علة والشجر حين يكونان صحيحين، كما تكررت الميم والنون إذ وردتا في مخرجيهما الأساسيين مرة وفي مخرج الغنة مرة أخرى .

أما التجارب الحديثة في علم الأصوات فقد دلّت على أن العربية الفصحى استخدمت عشرة مخارج لإصدار أصواتها الصامتة، وهي :

١. المخرج الشفوي: ويكون بتقريب المسافة بين الشفتين أو إقفالهما، وهو للأصوات : ب، م، و.

٢. المخرج الشفوي الأسناني: ويكون نتيجة اتصال الشفة السفلى بالأسنان العليا وهو للصوت: ف .

٣. المخرج الأسناني: ويكون باتصال طرف اللسان بالأسنان العليا. وهو للأصوات: ث، ذ، ظ.

٤. المخرج الأسناني اللثوي: ويكون باتصال طرف اللسان بالأسنان العليا ومقدمة اللسان باللثة . وهو للأصوات التالية: ض، د، ط، ز، ص، س.

٥. المخرج اللثوي: ويكون باتصال طرف اللسان باللثة، وهو للأصوات: ل، ن، ر.

٦. المخرج الغاري: ويكون باتصال مقدمة اللسان بالغار، وهو للأصوات: ش، ج، ي.

٧. المخرج الطبقي: ويكون باتصال مؤخر اللسان بالطبق، وهو للأصوات: ك، غ، خ.

٨. المخرج اللهوي: ويكون باتصال مؤخر اللسان باللهاة ، وهو لصوت : ق.

٩. المخرج الحلقي: ويكون بتضييق الحلق نتيجة وهو للصوتين: ع، ح.

١٠. المخرج الحنجري: ويكون نتيجة إقفال الوترين الصوتيين أو تضييقهما . وهو للصوتين: هـ ، ء .